قصة أولها خيال وآخرها خيال

تأليف: سونيا النمر
رسومات: تهاني سويدان

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

وفجأةً! تقدمتْ فتاةٌ من بينِ الحضور
تمشي بثباتٍ وثقةٍ من غيرِ غرور

لم تكُنْ باهرةَ الحسنِ والجمال
وكانت تلبسُ ثوباً نظيفاً بسيطَ الحال

قصة أولها خيال وآخرها خيال

قصة مستوحاة من التراث الفلسطيني

تأليف: سونيا النمر

رسومات: تهاني سويدان

«نسخة مجانية»

كان يا ما كان في قديمِ الزمان
وسالفِ العصرِ والأوان

ملكٌ عظيمٌ كبيرُ الشأن
كثيرُ المُلكِ والخيرِ والأطيان

رزقهُ اللهُ بولدٍ وحيد ... يحبُ القراءةَ وقصَّ الحكاية

جميلٍ وذكيٍ ، لكنهُ عنيد ... وفي فنِّ الحديثِ له دراية

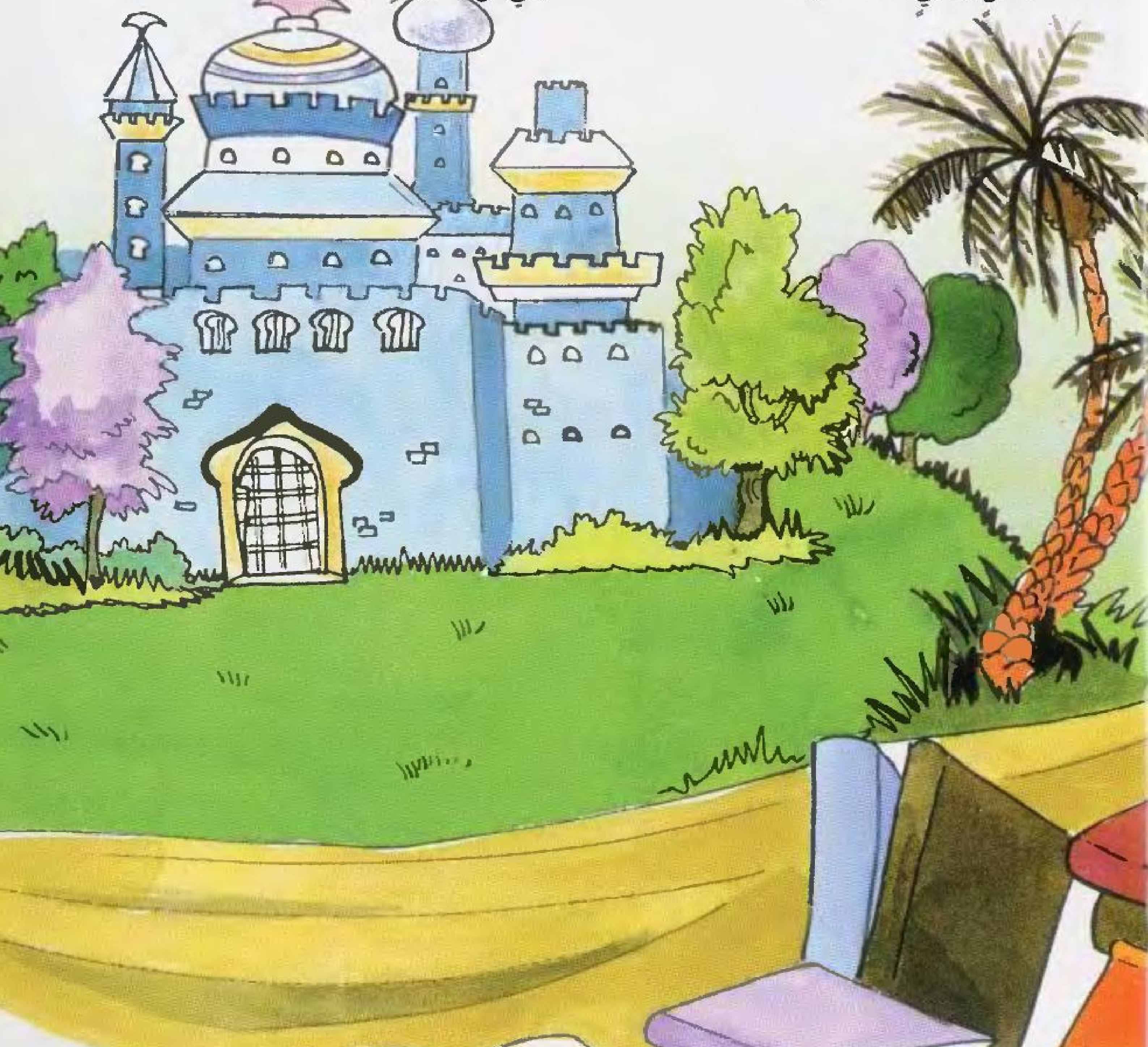

وذاتَ يوم، استدعى الملكُ إبنَه
ليحدِّثَهُ عن مكنونِ قلبه

وقال: ليسَ لديَّ غيرُكَ أولاد
وأحبُّ أن أفرحَ قبلَ موتي بأحفاد

أريدُ تزويجكَ فتاةً فائقةَ الجمال
ذاتَ حسبٍ ونسبٍ وسَعَةِ حال

وما عليكَ سوى أن تختار
من بناتِ الأمراءِ والنبلاءِ والتجار

قال الأمير: لا أريدُ فتاةً جميلةً أو غنية
بل فتاةً حلوةَ الكلامِ ذكية

كتمَ الملكُ غيظَهُ وقال:
سرُّ السعادةِ في المالِ والجمال

لكنَّ الأميرَ كانَ قد عزمَ أمرَه
وعرفَ الملكُ أنهُ لن يغيرَ رأيَه

فقال: يا بني، حيَّرتَني في كلامِك
أينَ سنجدُ فتاةَ أحلامِك؟

قالَ الأمير: نقيمُ حفلاً ونرسلُ الدعوات
لكلِّ البناتِ منَ العامةِ والذوات

ونطلبُ من كلِّ فتاةٍ أن تحكي حكاية
كلها خيالٌ منَ البدايةِ إلى النهاية

وصاحبةُ أكثرِ الحكاياتِ خيالا
سأختارُها لتصبحَ زوجتي حالا

وبدأتْ في القصرِ حالةُ استعدادٍ قصوى
لتحضيرِ أصنافِ الطعامِ والحلوى

وازدانَ القصرُ بحلةٍ من الأنوار
وتحولَ الليلُ في باحتهِ إلى نهار

وحضرتْ الفتياتُ من أقاصي الديار
وكلٌّ تحلمُ بأنْ يقعَ عليها الإختيار

كانت الأولى من بناتِ الذوات
يحيطُ بها عددٌ منَ الوصيفات

بهرتْ بجمالِها عيونَ الحضور
وتقدمتْ بخيلاءٍ نحو الأمير

وبصوتٍ في العذوبةِ آية
بدأتْ تحكي للأميرِ الحكاية

" كان يا ما كان يا أميرَ الزمان
في سالفِ العصرِ والأوان . . . "

أشارَ إليها الأميرُ بالسكوت
فبدا عليها اليأسُ والقنوط

«هذا كلامٌ معادٌ منذُ أجيال
أريدُ قصةً كلَّها خيال»

وتكررَ المشهدُ مع كلِّ فتاة
ولم يجدْ الأميرُ فيهنَّ مبتغاه

قامَ من مكانهِ يشعرُ بالضجر
فأشارَ عليهِ الملكُ بالصبر

وفجأةً! تقدمتْ فتاةٌ من بينِ الحضور
تمشي بثباتٍ وثقةٍ من غيرِ غرور

لم تكُنْ باهرةَ الحسنِ والجمال
وكانت تلبسُ ثوباً نظيفاً بسيطَ الحال

وقبلَ أن يشيرَ إليها الأميرُ بالكلام
بدأتْ حكايتها بدونِ سلام

«دعيتُ إلى زفافِ جدي وجدتي
غنيتُ ورقصتُ كثيراً من فرحتي»

بدا الذهولُ على وجوهِ الحضور
وكسا وجهَ الأميرِ بعضُ الحبور

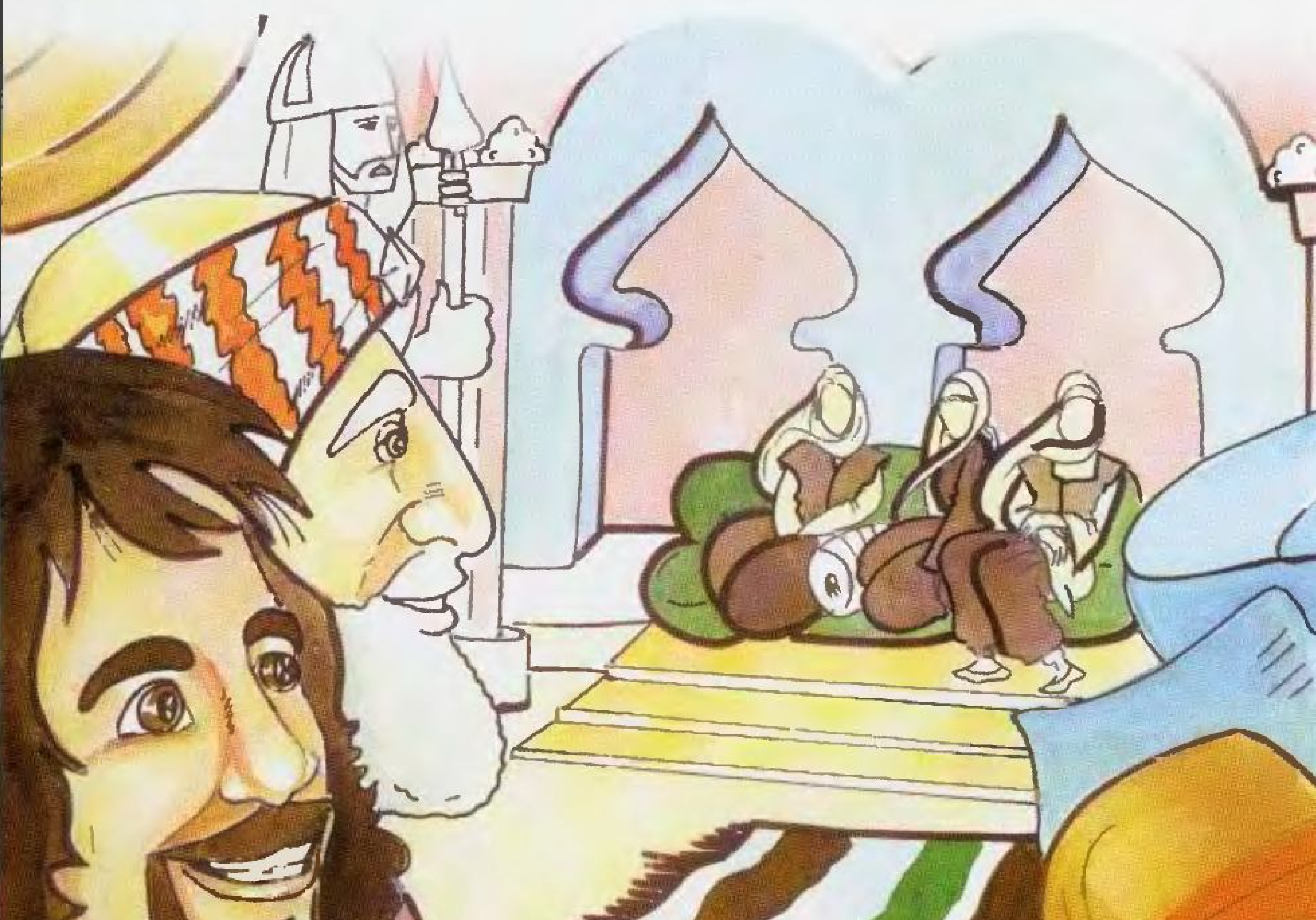

أهدوني بيضةً كبيرةً ملساء
حجمها تقريباً كقبةِ السماء

حملتها بخفةٍ وركضتُ نحوَ الدار
أقذفها مرةً بيميني ومرةً باليسار

وقعت البيضةُ على الأرضِ بلمحةِ عين
وانقسمت تماماً إلى نصفين

وخرجَ منها ديكٌ كلُّه ألوان
كبيرٌ وقويٌ كأنهُ حصان

فرحتُ وقلت : سأنتقلُ عليهِ من مكانٍ لمكان
وأسافرُ على ظهرهِ إلى كلِّ البلدان

وقضيتُ وقتاً طويلاً على ظهرِهِ في السفر
من مدينةٍ، لجبلٍ، لجزيرةٍ، لبحر

ولم أنتبهْ لتقرحٍ أصابَ ظهره
وتعجبتُ لطولِ بالهِ وصبره

خفتُ عليهِ وذهبتُ إلى العطار
وحدثتهُ بكلِّ الذي جرى وصار

فأعطاني حبةَ تمرٍ وقال:
«ضعيها تحتَ أشعةِ الشمسِ في الحال»

وفي المساءِ حينَ يظهرُ القمر
اطحنيها طحناً ناعماً بحجر

وادهني ظهرَ الديكِ كلهُ عندَ الفجر
فيعودُ قوياً كما كانَ كالسِّحر

فعلتُ تماماً ما قالهُ العطار
وعدتُ إلى فراشي أنتظرُ النهار

ولدهشتي رأيتُ في الصباحِ ما يذهبُ العقل
فقد نَمَتْ على ظهرِ الديكِ شجرةُ نخل

جذورُها ممتدةٌ على ظهره كالحبال
وجذعُها يرتفعُ في الفضاءِ عدةَ أميال

قطوفُها متدليةٌ مليئةٌ بالثمر
وكلُّ حبةٍ منها بحجمِ الجرةِ أو أكبر

ترشحُ بقطراتِ العسلِ قشورُها
وكفاكهةٍ من الجنةِ تبدو تمورُها

ورحتُ أرشقها بالحجارةِ بكلِّ عزم
فتكومَت ثمارُها على الأرضِ كالهرم

فأكلتُ تسعاً وتسعينَ حبةً بلا ملل
وحبةً أخرى أكلتها على عجل

فقد انتبهتُ لظاهرةٍ غريبةٍ جداً
فالحجارةُ التي رميتها لم تعدْ أبداً

فتسلقتُ الشجرةَ من الصباحِ حتى المساء
ومن كثرةِ الجهدِ أصابني الإعياء

فقضيتُ ليلةً في جوفِ قشرتها
وفي عصرِ اليومِ التالي بلغتُ قمتها

وهناكَ رأيتُ ما يفوقُ الخيال
وما لم يخطرْ لي أبداً على بال

أرضاً واسعةً ليسَ لها حدود
جاهزةً لزرعِ الشجرِ والخضرِ والورود

قررتُ أن أزرعَ بأرضي سمسم
وفي المساءِ كانَ قد نضجَ الموسم

فقضيتُ سبعةَ أيامٍ وسبعَ ليال
لأحصدَ تلكَ الآلافَ من الأميال

وملأتُ الغلةَ في ألفِ شوال
في كلِّ كيسٍ ألفُ رطلٍ بالمكيال

وانتبهتُ أنَّ هناكَ حبةً ناقصةً من الغلة
فتلفتُ لأرى على البعدِ نملة

تمسكُ حبةَ السمسمِ وتركضُ نحوَ الشرق
فجريتُ خلفها ولحقتُ بها كالبرق

أمسكتُ الحبةَ بيدي وبدأتُ أشد
وهي تمسكُها بإصرارٍ وعزمٍ أشد

وكلما سحبتُها أكثرَ لجهتي
تمسكت النملةُ أكثرَ بحبتي

واستمرت المعركةُ ساعاتٍ طوال
فانكسرت الحبةُ وتدفقَ منها الزيتُ كالشلال

وتكوَّنَ بحرُ زيتٍ نهايتهُ لا تبان
يالفرحتي ... أصبحَ لديَّ بدلَ الموسمِ اثنان

بعتُ ما بعتُ وأعطيتُ الكثير
لكلٍّ ذي حاجةٍ وفقير

وبدأتُ أفكرُ ماذا في أرضي سأزرع
فلم أجدْ من البطيخِ أحسنَ ولا أروع

زرعتُ البذورَ والنهارُ بعدُ لم ينبلج
وفي المساءِ كانَ الموسمُ قد نضج

وجدتُ بطيخةً كبيرةً مربعة
آه، كم ستكونُ نكهتها ممتعة

فأغمدتُ بها سيفي ذا العشرينَ ذراع
فغاصَ بداخلها واختفى وضاع

وقفتُ على حجرٍ لأنظرَ ما الحكاية
ولدهشتي وجدتُ سلماً يمتدُ إلى ما لا نهاية

نزلتُ على درجاتهِ بخوفٍ وحذر
فوجدتُ تحتي مدينةً كثيرةَ البنيانِ والبشر

أُناسٌ كثيرونَ ما بينَ بيعٍ وشراء
كلٌ على بضاعتهِ يرددُ النّداء

منهم من يبيعُ الفواكهَ والخضار
ومنهم من يبيعُ الأباريقَ والجرار

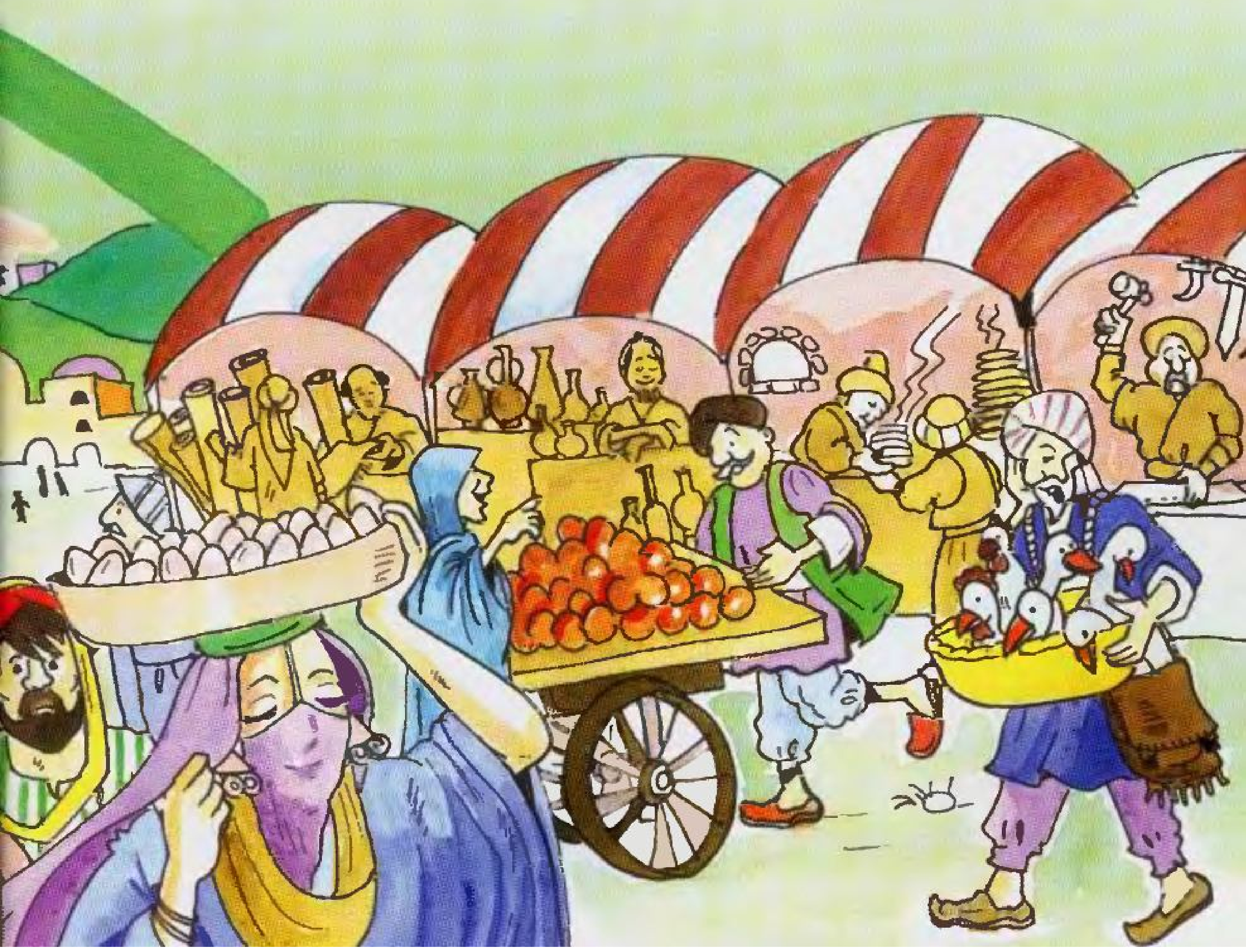

بعضهم يعرضُ الطيورَ والحيوانات

وبعض ينادي... من قالَ هات

وفي الطريقِ رأيتُ رجلاً طاعناً بالسن
تبدو عليه علاماتُ الحيرةِ والحزن

فحمارهُ ممددٌ وسطَ الزقاق
حرِنٌ واضعاً ساقاً على ساق

فقلتُ له أنا من ذيلهِ وأنتَ من رأسه
نشدهُ ونوقفهُ رغماً عن أنفه

وصحنا واحد... إثنان... ثلاثة، يا الله يا جبار
واحد... اثنان... ثلاثة، ولم يتحركْ الحمار

فقلت شدي يا بنت وبقوتكِ زيدي
ظلَّ الحمارُ على الأرضِ وذيلهُ بقيَ بيدي

فلما رآهُ صاحبُهُ صاحَ وولول
وقادَ مظاهرةً في السوقِ يطالبُ بالعدل

وارتفعتْ الحناجرُ بالهتافات
تطالبُ القاضي بأقصى العقوبات

فكَّر القاضي ملياً وقالَ بوقار

قررنا نفيَ الغريبةِ إلى ما وراءَ البحار

فتفتقَ ذهنُ أحدهم عن فكرةٍ ولا أفظع
أن يقذفوني كطلقةٍ من فوهةِ المدفع

وفي اللحظةِ الموعودةِ وأمام الحشود المخيفة
وضعوني بفوهةِ المدفعِ وأطلقوا القذيفة

وطرتُ بسرعةٍ في السماءِ كالشهاب
أسبحُ فوقَ الغيومِ والسحاب

فرأيتُ الجبالَ من تحتي تبدو كالفيلة
وأكبرُ مخلوقٍ على الأرضِ بحجمِ نملة

ومرت الساعاتُ وطالَ الطريق
فرُحتُ من التعبِ بنومٍ عميق

وفتحتُ عيني ، ولعجبي الكبير
وجدتُ نفسي في حضرةِ الأمير

فَرِحَ الأميرُ وعلت ضحكاته
فقد وجدَ أخيراً شريكةَ حياته .

This book has been provided to Palestinian schools by the Department for International Development/UK, in cooperation with Tamer Institute for Community Education.

These books have been offered in conjunction with the Ministry of Culture's Training Program for Teachers of Children's Literature- a joint project with the Ministry of Education & Higher Education.

لقد تم تقديم هذا الكتاب للمدارس الفلسطينية من دائرة التنمية الدولية / المملكة المتحدة، بالتعاون مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

لقد تم منح هذه الكتب بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية وضمن إطار برنامج تدريبي للمدرسين حول أدب الأطفال. وهذا البرنامج هو نشاط مشترك بين وزارة الثقافة الفلسطينية ووزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

من إصدار مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي - فلسطين ٢٠٠٢

تصميم وطباعة مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان